اجتهادات
روحُ المكان

بين أصدقائى العرب فى باريس من مضى على وجودهم فيها فتراتُ طويلة. ذهب بعضهم إليها فى شبابهم الباكر وبقوا. حصل كثيرُ منهم على الجنسية الفرنسية.

سألنى أحدهم فى زيارتى الأخيرة قبل أيامٍ عن سبب ما أسماه غرامى بالدائرة الخامسة، التى أُقيم عادةً فى أحد فنادقها كلما زرتُ باريس، حتى إن كنتُ مدعوًا إلى حدثٍ تُنَّظمُه مؤسسةُ تقع فى منطقةٍ أخرى، ويُقيمُ كلُ المدعوين إليه فى أحد فنادق هذه المنطقة. أجبتُه بأن ثمة علاقة بين البشر والأماكن. الكائن البشرى هو أكثر الكائنات الحية وعيًا، وليس إحساسًا فقط، بالمكان. والأماكن ليست مبانى وطرقًا وشوارع. للأماكن أرواح. والأرواحُ قد تتعارفُ وتأتلف، وقد تتناكرُ وتختلف. أشعرُ بأُلفةٍ شديدة فى دائرة باريس الخامسة، التى تُعرف أيضًا بالحى اللاتينى. تأتلفُ روحى مع روحها. أشعرُ حين

أقترب من البانثيون الموجودة بها بأرواح عظماء مدفونين فيها تحومُ حولى، مثل فولتير وروسو وهوجو وزولا وماری کوری، وغيرهم ممن أسهموا فى تطور المعرفة فى العالم. وأمام مدخل البانثيون الرئيسى حدائق لكسمبرج التاريخية البديعة.

الدائرةُ الخامسة هى قلبُ باريس الثقافى. موطن جامعة السوربون العريقة، التى يعودُ أصلها إلى القرن الثالث عشر، وصارت اليوم 13 جامعة يوجدُ أربعُ منها على ما أذكر فى مبناها التاريخى. وفيها أيضًا كوليج دى فرانس التى أُنشئت فى القرن السادس عشر، وتُعدُ اليوم من أهم مراكز البحث العلمى فى العالم. وكذلك معهد العالم العربى, وجامع فرنسا الكبير. تجدُ فيها كذلك المقاهى التى ارتادها مثقفون ومفكرون كبار فى زمن ازدهار الفكر والفلسفة. مازال فى بعض هذه المقاهى شىء يُذّكرُ بذلك الزمن. نُشاهدُ خلال العام الجامعى طلابًا يحملون حقائبهم وحاسباتهم الآلية جالسين فيها. كما نجدُ بعض أهم متاجر بيع الكتب الجديدة، وباعة كتبٍ قديمةٍ أيضًا. تشعر بروح المنطقة كذلك فى رائحة هذه الكتب، كما فى

أشياء عدة مثل الفنادق الصغيرة التى أقمتُ فى عددٍ منها وأحببتُها. فأهمُ ما فى أى مكانٍ روحُه التى تبقى، فيما يتغيرُ «جسده» أى معالمُه المادية من وقتٍ إلى آخر.